

## أضواء البيان

@ 59 @ وقوله تعالى : { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدَى مَنْ يَشَاءُ } . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَايَهُ وَكَيلاً } ، استفهام إنكار فيه معنى النفي . .

والمعنى : أن من أضلّه الله فاتخذ إلهه هواه ، لا تكون أنت عليه وكيلاً ، أي : حفيظاً تهديه وتصرف عنه الضلال الذي قدّره الله عليه ؛ لأن الهدى بيد الله وحده لا بيدك ، والذي عليك إنما هو البلاغ ، وقد بلغت . .

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { إِنْ زُيِّنَ لَكَ تَهْدِي مَنْ أَهْدَى اللَّهُ - وَلَئِنْ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ } ، وقوله تعالى : { إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ } ، وقوله تعالى : { أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مَوْدُوعِينَ \* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَفَّقَ مِنْ إِلَهِ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ } ، وقوله في آية ( فاطر ) المذكورة آنفاً : { فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } ، وقوله تعالى في آية ( الجاثية ) المذكورة آنفاً أيضاً : { فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة ، والعلم عند الله تعالى . { أَمْ تَحْسَبُ أَنْ } أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ كَاللَّاسِ كَالْأَعْمَى بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } . { أَمْ } ، في هذه الآية الكريمة هي المنقطعة وأشهر معانيها أنها جامعة بين معنى بل الإضرابية ، واستفهام الإنكار معاً ، والإضراب المدلول عليه بها هنا إضراب انتقالي . .

والمعنى : بل { تَحْسَبُ أَنْ } أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ ، أي : لا تعتقد ذلك ولا تظنّه ، فإنهم لا يسمعون الحق ولا يعقلونه ، أي : لا يدركونه بعقولهم : { إِنْ هُمْ إِلَّا كَاللَّاسِ كَالْأَعْمَى } ، أي : ما هم إلا كالأنعام ، التي هي الإبل والبقر والغنم في عدم سماع الحق وإدراكه